الأدب العالمي: السنة الثانية ل م د دراسات لغوية وأدبية/ الأستاذة:أسماء سوسي

المحاضرة السابعة: الأدب الألماني

تمهيد:

تكوّن الجنس الجرماني في القرن 5م من شعوب التوتيين والقوط واللأستروغوط الذين استقرّوا بأوروبا الوسطى ما بين مهر الراين جنوبا وحدود البلدان السلافية شمالا، وكانت القوطية لسانهم الوحيد إلى أن هبّت رياح التنصير على أوروبا الغربية؛ فزاحمتها اللاتينية التي أضحت لعدة قرون لغة الكنيسة والثقافة بلا منازع. وانقسم الألماني إلى لهجتين مختلفتين، تُسمّى المنطوق منها في الشمال بـ**الألماني الأسفل**، وفي الجنوب بـ**الألماني الأعلى**. ولأسباب ما تحوّل الألماني الأعلى المنتشر من الراين إلى الساكس تدريجيا إلى لغة أدبية، وتعدّ ترجمة الكتاب المقدّس لـ**مارتن لوثر**(1546م) سنة 1541م أول مظهر للغة الألمانية الكلاسيكية.

أمّا حركة الإبداع الفني فقد ظلّت شبه منعدمة حتى ظهور الملاحم في القرن 13م، وما وصل أو تبقّى من النصوص الدينية القديمة مترجمة **الأناجيل لأتفريد، وأنشودة هلدبرانت** في سبعين بيتا وملحمة **المنقذ** في ستة آلاف بيت لا تحرك مجتمعة كفة ميزان الأدب الألماني إلى مستوى جيرانه.

1_ **القرن 13م**: وهو العصر الذي ازدهر فيه الشعر الملحمي بنوعيه الوطني الشعبي والفروسي:

أ_ **الملحمة الوطنية الشعبية**: تعتبر أنشودة **النيبلونغن** المنسوبة إلى **هنري دوفتردنجر** النمساوي أشهر وأعظم ملحمة عرفها الأدب الألماني لاحتوائها على أكثر من ألفين وثلاثمائة مقطع رباعي ما يعادل عشرة آلاف بيتا شعريا موزّعة على ثمانية وثلاثين نشيدا أو مغامرة نظمت أو حقّقت بعد تعديلات عديدة في بداية القرن 13م. استمدّت مصادرها من الأساطير الجرمانية القديمة،من بقايا الملاحم السكندنافية ومن الذكريات التاريخية التي يعود زمنها إلى اجتياه الهياطلة بقيادة أتيلا وهم أقوام آسيوية سنة 436 لديار البورغوند ونهب كنوزها. وتحكي مغامرات البطل سيغفريد، تميزت بحسن بنائها وترابط أجزائها، وعنف المشاعر، وعدم الاكتراث بالموت والعناد البطولي... وهي خصال جُبل عليها الجنس الجرماني قديما ووجد الألمان المعاصرون أنفسهم فيها فهبّوا لإحيائها نشرا وشرحا وتدريسا، وتأثّر بها الفنانون على اختلاف مواهبهم الرسامين والنحاتين والموسيقيين...

ب_ **ملحمة الفروسية**: وكان هذا النوع من الملاحم مستوردا من فرنسا عن طريق التقليد؛ إذ اقتبس **ديشنباخ** 1220م وهو أحد فرسان بافاريا موضوع **البرسيفال** من **قصص الطاولة المستديرة** لـ**كريتيان دي تروا** الإنجليزي ومن أساطير القدّيس غرآل، ولكنه أضفى على ملحمته البالغة ستة عشرة كتابا وما يقارب 25ألف بيتا سموّ التفكير وفيض النظم، فجاءت صورة وفية لحياة الفروسية في القرن 13م وصفحة ناصعة من الشعر الصوفي المسيحي الذي يعكس الصراع القائم بين الشهوات الدنيوية والطموحات المثالية. ولكن ديشنباخ كان مهملا للأسلوب لجهله بفن الكتابة، فقد كان مطبوعل وملهما للموسيقار الكبير **فاغنر** في **أوبرا البرسيفال** الشيقة 1877.

ج- وتعد قصة **تريستان وإيزولت** 1210م أو قصة الحب القاتل التي ألهمت الشعراء الفرنسيين من أكثر القصص تأثيرا في الشعراء الألمانيين؛ فقد تفوّق **غوتفريد** في محاكاة الجزء الثاني على توماس دونجلتير تفوقا باهرا، وكان خير من وصف في ملحمته تريستان وإيزولت ذات النمط الفروسي بالعاطفي زوجين مثاليين رفعهما الحب إلى أسمى درجة.

د_ **الشعر الغنائي:** أو ما يعرف بmennisanger **أو مغني الحب** حرفيا ويقابله الجوال في الأدب الفرنسي، ويعدّ **فريدريك دي هوسن، وهنري دي مورنغن، ورينمار دي هانغو**... من أبرز ممثلي هذا اللون الأدبي. وقد سمّي القرن 13م بالعصر الكلاسيكي الأول ويجب انتظار 5 قرون ليظهر العصر الكلاسيكي الثاني مع جيل المجددين وغوته وشيلّر.

2_ **جيل المجدّدين:** بالرغم من اختراع **غوتنبرغ** 1476م لفن الكتابة وانتشار التراث القديم في ألمانيا فإن الأدب الألماني عاش ركودا دام من القرن 14م إلى 18م، وفي هذه الفترة انهار شأن الملحمة واستأثر الاحتراف بالشعر الغنائي مع **الأساتذة المغنيين** الذين وضعوا له قواعد وطقوسا ومدارس لحمايته من شوائب الإلهام العفوية، كما أنّ حركة الإصلاح خنقت كلّ انبعاث أدبي لما جعلت من الفن وسيلة للدفاع عن مبادئها وخادما طيّعا للإيمان المسيحي، فقلّ عدد الأدباء والمؤلّفات الأدبية ولم يبرز منهم سوى **لوتر** الكاتب الإنسي والمفكّر العظيم، و**هانس ساشس** الشاعر المسرحي 1576م، و**يوهان فيشارت** 1591 مترجم أمهات الكتب التي أتاحت لألمانيا الاحتكاك بالآداب الأوروبية.

أما حرب الثلاثين سنة (1618/1648م) فقد خرّبت ألمانيا وأنهكت قواها المادية والمعنوية، وكات الأدب الألماني آنذاك خضوعا للأدب الفرنسي مثل **أندريس غريفيس**1664م مدخل القواعد الثلاث والطابع الباروكي للمسرح. وسوف تستفيق العبقرية الألمانية من غفوتها الطويلة في القرن 18م بفضل محاكاة الفرنسيين، وتنشط الحركة الفكرية على يد **كلوبستوك(ت**1803م) مجدّد الملحمة في **يسوعيته** 1748، **فيلند** 1813م مترجم شكسبير والأدب الفولتيري البارع، **ولسّنغ** 1781م الذي كان أحد أبرز فلسفة النور الألمانية وأبرز نقّاد عصره.

ومن دلائل الاستفاقة ظهور جيل جديد في بداية الثلث الأخير من القرن 18م وهو الجيل الذي اتّخذ لنفسه تسمية مقتبسة من مسرحية **كلنغر** 1831م المعنونة **العاصفة والوثوب** 1776م فصارت عبارة strum und drang شعارا لحربه المعلنة على فلسفة النور وترجمانا لاتجاهه الفني الجديد. كان برنامجهم شبيها ببرنامج الرومانسيين الفرنسيين يدور في النقاط الآتية:

_ لا بد من إلغاء كل القواعد والارغامات التي تخنق الإلهام وتعرقل الأديب في إبداعه.

_ يجب التخلي عن الاقتداء بالعقل البارد واستبداله باللجوء إلى القلب النابض بالإحساس والحيوية.

_ تقديس الطبيعة باعتبارها صيرورة دائمة.

_ لهم نزعة ثورية موجّهة ضدّ المجتمع والدين والاستبداد السلطوي بجميع أشكاله وشعاره الوحيد المطالبة بالحرية وإزاحة العوائق كالقواعد والقوانين المسننة أمام من يريد إبرتز عبقريته.

_ احتقار إنسان الصالونات والكتّاب التابعين لها، وتفضيل الرجل الذي يعيش بعمله ونشاطه الدّؤوب في انسجام كامل مع الطبيعة.

ومن أبرز **الرواد** نذكر كوكبة من الفنانين والأدباء الذين حملوا لواء الجيل الجديد:

أ_ **هردر _يوهان غوتفريد_**(1744/ 1803م): فيلسوف وناقد اشتهر بتحريك الأفكار، ذو ثقافة موسوعية وذهن حصيف، ترأّس حركة التجديد وكان المنظّر الرئيس لها بفضل مصنّفاته الكثيرة مثل: شذرات من تاريخ الأدب

الألماني الحديث، ديوان النقد، أصوات الشعوب، خواطر في فلسفة التاريخ الإنساني... وحسب اعتقاده فإنّ الشعر البدائي الصادق أحسن بكثير من الشعر الراقي الموجود في المجتمعات المتحضّرة، وأن الاقتباس من الأغاني الشعبية أمر ضروري لتطوير الفن الشعري لغة ومضمونا، والمسرح بدوره يجب أن يكون وطنيا ومطابقا لطباع الشعوب.

ب_ **فريدريك شيلّر**(1805/1759): تميّز بحكم تعليمه العسكري الذي لا يحبّذه بالعناد والعصيان والتآلب على المجتمع، فكتب سنة 1781م مسرحيته **الصعاليك** وقدّمها على خشبة المسرح وكشّر فيها عن أنيابه في أول دراما ثورية له جلبت له عداء السلطة السياسية، فهرب إلى فوتمبرغ وآواه دوق مدينة فايمر **شارل أوغست** الذي كان نصير الأدباء. وبدأ في التأليف والتألّق، وبعد وفاته ودّعته ألمانيا في جنازة رسمية تكريما له. من مؤلّفاته في التّأريخ كتاب **حرب الثلاثين سنة**، وفي النقد رسائله حول **التربية الفنية**، ومقاله في الشعر الساذج والعاطفي. وفي المسرح الدرامي كتب: الصعاليك، مؤامرة الفييسك، دسيسة وغرام، دون كارلوس، عذراء أورليان، خطيبة مسّينا...وبهذا تمكّن شيلّر من بناء صرح الدراما الكلاسيكية الألمانية، ومعالجة المواضيع الإنسانية الكبرى كالحرية والحب والإرادة التي تتغلّب على الأهواء، فكان نوعا من **كورناي** العاطفي وأحد المؤثّرين في نشأة الدراما الرومانسية الفرنسية.

ج_ **غوته**:(**1832/1749م**) جمع في شخصيته الشاعر الوجداني والروائي المقتدر والمسرحي المبدع والعالم المفكّر، له عديد الأعمال في مختلف الأجناس الأدبية. وُلد غوته في فراش النعيم لأبٍ رجل قانون وأمٍ ورّثته الموهبة القصصية والخيال الرّحب، تعرّف على **هردر** وحفّزه للالتحاق بحركة العاصفة والوثوب، وأخصب عبقريته حين وجّهه إلى الاطّلاع على أعمال هوميروس وشكسبير والشّعر الشّعبي، دعاه دوق فايمر (أثينا الشمالية) **شارل أوغست** سنة 1775م وكان أهمّ حدث في حياته، وجعل منها مركز إشعاع للفن والثقافة الألمانيتين، وعيّن مستشارا للدوق، وأسنِدت إليه مهمّة تدبير شؤون الإمارة التي قام بها على أحسن وجه، ومضيفا إليها اهتمامه بالبحث والتّأليف في علوم الفيزياء والأرض والتشريح. سافر إلى إيطاليا مدّة عامين (1788/1786م) وكانت مؤثّرة في رحلته الأدبية وإنماء شخصيته؛ بحيث استطاع رجل الشمال أن يجد في الجنوب أسرار الحياة البسيطة، فألّف **المراثي الرومانية** وبعض المسرحيات.ولما اندلعت الثورة الفرنسية وقرّر **بسمارك** بعث حملة عسكرية ضدّها، رافق غوته دوقه وحضر قصف فالمي بالمدافع وحصار مدينة ماينس 1792م، وحينها أدرك جيّدا قيمة هذا الحدث التاريخي فقال:"من هذا المكان ومنذ هذه الليلة تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العالم".

وفي سنة 1794 التقى **بشيلّر** ونشأت بينهما صداقة متينة، وظلّ يبدع في اتّجاه حلمه الكبير الأدب العالمي حتى وفاته سنة 1832م مخلّفا عديد العمال الأدبية المتنوّعة مثل:

_ في الشعر: مطلق الجان، خطيبة كورنتس، الرب والراقصة، نشيد ماي، نشيد محمد، حدود الإنسانية، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي...

_ في المسرح الدرامي: غوتز دي برلشنغن باغموت، توركواتّو، فيجينيا في توريدا، فاوست بجزئها...

_ في الرواية: آلام الشاب فارتر، التجانسات المتماثلة، رحلة إلى إيطاليا، الشعر والحقيقة، حملة فرنسا...

3_ **الرومانسية**: وقد ظهرت سنة 1790م وامتدّت إلى سنة 1850م، وهي تختلف عن الرومانسية الفرنسية لأنّها تجاوزت الأدب والرسم إلى ميادين أخرى كالموسيقى والدين والعلم والفلسفة... ونادت الرومانسية بإتّباع الخيال

المبدع والمقصود بالخيال الحرية التي تسمح للمبدع بإتّباع نزواته الفردية ورفض الامتثال للقواعد التي تحدّ من حرّيته. ولكن **فريدريك شليغل** استنبط من هذا التحرّر الكلّي للفنان قانونا غريبا سمّاه **السخرية الرومانسية** وتعني تعامل الفنان مع شعره على أساس الشعور بنسبية الإبداع الذي يبقى دائما ناقصا أو في طريق التحسّن والكمال. ولتوسيع أفاق الرومانسيين سعت الرومانسية إلى الاغتراف من منبعين: ترجمة مصنّفات القدامى والمحدثين، والتأثّر بالأفكار الفلسفية التي جاء بها **كانت** (ت1803م) و**فيتشه** (ت1838م)، و**شلّنغ** (1854).

وقد سعت الرومانسية أيضا إلى تجديد وسائل التعبير الشعرية حين ألحّت على تحقيق الانفعال الخالص والغنائية المطلقة والموسيقى المؤثّرة. ولكنّها انتهجت من الناحية السياسية نهجا محافظا وطنيا دينيا ورجعيا في آخر الأمر بدليل أنّها أدارت وجهها للماضي الجرماني وتراثه الشعبي، فأهملت بذلك نزعتها العالمية. ولكن أيضا وصل أصحابها إلى العالمية ومنافسة لامارتين وهيغو الفرنسيين من بينهم: **نوفاليس، لودفيغ تيبك، شليغل، أشيم فون أرنيم، كليمونص برنتاتو، الأخوان غيوم، جاك غريم...**

منذ 1830م أخذ الأدب الألماني اتجاها آخر لمسايرة الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي فرضها التصنّع السريع على الإنسان المعاصر، فعبّر **بفزر** في **مراسلة الألمانيين**1832م قائلا:" أن عالم الأفكار والمثل لا يقوم مقام الواقع الحي"، وظهر التيار الواقعي الذي حاول التوفيق بين الكلاسيكية والرومانسية.

أما في القرن 20م فقد فَقَد الأدب الألماني التقاليد التي جاء بها غوته، ولم يكن التجديد أو التغيير يعني الإضافة إلى التقاليد الأدبية السابقة، بل هدف إلى ما يشبه الانقلاب والخروج عليها، فظهر العديد من الكتّاب والروائيين أمثال **جونتر غراس** الذي تعقد عليه الآمال في تطوير الرواية الألمانية إلى آفاق جديدة، فقد لاقت روايته طبلة من الصفيح نجاحا باهرا سنة 1959م، ورواية **القط والفأر** 1961، و**سنوات الكلاب** 1963م... كما حاز الكاتب المسرحي السويسري الجنسية **فريدريش دورينمات** شهرة عالمية من خلال مسرحياته ورواياته البوليسية وتمثيلاته الإذاعية وسيناريوهاته السينمائية. ولاقى الشعر المعاصر نجاحا فاق المسرح؛ فهو ميدان للتجريب الدائم والبحث عن الجديد والمثير، ومازالت الأشكال التقليدية من غنائية وملحمية واعترافية بنفس الحيوية منذ عهد غوته فبرز اسم **غوتفريد بن** الذي رفع لواء القيمة الفنية للشكل.

المصادر والمراجع:

- **نبيل راغب، معالم الأدب العالمي المعاصر،دار مصر للطباعة، مكتبة الإسكندرية، مصر،(دط)،(دت).**
- **فؤاد المرغي، المدخل إلى الآداب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، سورية، ط2،1992.**
- **بديع حقي، قمم في الأدب العالمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)،1987 .**